



## تجربة جمع وتوثيق الموسيقى التقليدية العمانية

# كشفت البحوث الموسيقية عن واقع موسيقي عُماني متنوع وزاخر بأنماط وصيغ الغناء والآلات اله

تمهيد:

تحقيقاً للرغبة السامية لحضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم - حفظه الله ورعاه - بجمع وتوثيق التراث الموسيقي العُماني، كلفت وزارة الإعلام الأستاذ الدكتور يوسف شوقي مصطفى (وهو عالم موسيقي ووكيل وزارة الثقافة في جمهورية مصر العربية ت.١٩٨٧) (١) بالإشراف على مشروع جمع وتوثيق الموسيقى التقليدية العُمانيّة ترأس شوقي فريقاً عُمانياً مع وزارة الإعلام مع بعض المساعدين له من جمهورية مصر العربية. وبناء على نتائج الجمع الميداني الذي بدأ عام ١٩٨٢، تم تأسيس مركز عُمان للموسيقى التقليدية في يناير ١٩٨٤.

إعداد: مسلم بن أحمد الكعبري

وفي أغسطس عام ١٩٨٥ قدم إلى صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم - حفظه الله ورعاه - تقريراً مفصلاً أعده الأستاذ الدكتور يوسف شوقي مصطفى حول نتائج مشروع جمع وتوثيق الموسيقى التقليدية العُمانيّة.

اعتمد مشروع الجمع والتوثيق الميداني على عدد من الكوادر العُمانيّة بوزارة الإعلام، ومهندسو الصوت وغيره (التلفزيوني والغوتوبراني) والمصورون والناقدون (التلفزيوني والغوتوبراني) ومهندسو الصوت وغيره ذلك من المهام؛ وفي البداية، تم انتدابهم من دولته المختلفة بالوزارة للعمل في المشروع، وبعد تأسيس المركز أصبحوا عناصره المؤسسة ومنهج، خلفان بن أحمد البرواني الذي تولي مع الزميل جمعة بن خميس الشويبي الإشراف على استكمال الجمع الميداني وإدارة المركز بعد وفاة شوقي في ١٩٨٧ وحتى ٢٠٠٦. ولحقاً انضم للمركز كل من علي بن صالح الغرابي ومسلم بن أحمد الكعبري، وعابدة بنت محمد السعودي كسباحيين؛ فسأهموا في جولات الجمع الميداني الاستكشافية للمركز من باحيتين وشرفيين منذ أواخر الثمانينات من القرن الماضي من أهم المؤسسات المختصة بالموسيقى المحلية بالمنطقة العُربية، فأرشيفه يضم آلاف الوثائق السمعية والمرئية وعشرات الآلاف من البصينات والخفائق حول الموسيقى التقليدية العُمانيّة وتراثها، بل إن المركز يضم أكبر أرشيف موسيقي للأصوات والشرائط المصغرة التي عبر عنها الملايين في مختلف الولايات والمناطق عن جميع لحساب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم - حفظه الله ورعاه. منذ أن تولّى جلالة الملك حرمته آخر عمل ميداني قام به المركز في عام ٢٠٠٠.

وبناء على الجهود المبذولة في مجال جمع وتوثيق الموسيقى التقليدية العُمانيّة نال المركز جائزتين هامتين هما: جائزة المجلس الدولي للموسيقى - اليونسكو عام ٢٠٠٢، وجائزة المجمع العربي للموسيقى - جامعة الدول العربية عام ٢٠٠٥، لم تحصل عليها. وهي الشائعة تجارياً وإعلامياً، وتمارسها المجموعات والأفراد في المناسبات المرتبطة بالتقاليد الاجتماعية وهي التي تصنفها العلوم الموسيقية بالتقليدية، وفي هذا الشأن حرص المركز على تطبيق المناهج العلمية المعروفة في الجمع والتوثيق والتصنيف والدراسة والنشر (ملاحظة: لا رتبا في عُمان غير متفقين على تصنيفات محددة لهذه الأنواع الموسيقية العُمانيّة بسبب تعدد المراجعيات الموسيقية كما لا يوجد اتفاق حول طرق التعامل معها

أهمية الجمع والتوثيق

واليمين نشاطاً تجارياً في مجال تسجيل وبيع الاسطوانات الموسيقية منذ حوالي الثلاثينات من القرن الماضي، وكثير من الوثائق المصورة تم تسليمها إلى مصطفى حول نتائج مشروع جمع وتوثيق الموسيقى التقليدية العُمانيّة.

عندما تقوم باستخدامها ونشرها. ولكن كما نرى، فإن هذا المجال عملت الوزارة على تأهيل بعض كوادر المركز، فحصل على درجة الماجستير كل من خلفان بن أحمد البرواني (في الاثنوزيمولوجيا من جامعة كولومبيا بالولايات المتحدة الأمريكية)، ومسلم بن أحمد الكعبري (في العلوم الثقافية تخصص موسيقى وعلوم موسيقى من السعيد العالي للموسيقى، جامعة تونس)، وحصل للموسيقى والباحث مسلم الكعبري كتابان صدرت عن الموسيقى العُمانيّة، كما نشر عدد من البحوث والمقالات داخل عُمان وخارجها. وفي ٢٠٠٨ أصدر المركز كتاباً حول أنماط الموسيقى التقليدية العُمانيّة مدعاً جمعة بن خميس الشويبي، ذلك إلى جانب عدد كبير من المنشارات بالمؤتمرات والندوات والقراءات الموسيقية العربية والدولية معرفين بعلوم الموسيقى التقليدية العُمانيّة. إن هذا الدور لم يكن مسطراً الضرب عليه في السابق وهذا الترفيع المقتض به لأول مرة؛ لذلك اعتقد البعض أن ليل للكوادر العُمانيّة دور مهم أو أن الجمع والتوثيق اقتصر على فترة زمنية محدودة وهي بداية الثمانينات، وبهذه المناسبة يسرنا التأكيد على أن جُلّ العمل الميداني اعتمد بشكل أساسي على العناصر العُمانيّة، فلا توجد ولاية لم تقم أفراسها أقدم باحثي المركز. كما أن القليل من الناس الذين

يعرفون أن المركز هو أول من قام بتوثيق الحرف التقليدية العُمانيّة وكان ذلك في التسعينات من القرن الماضي، وكثير من الوثائق المصورة تم تسليمها إلى مصطفى حول نتائج مشروع جمع وتوثيق الموسيقى التقليدية العُمانيّة.

عرفون أن المركز هو أول من قام بتوثيق الحرف التقليدية العُمانيّة وكان ذلك في التسعينات من القرن الماضي، وكثير من الوثائق المصورة تم تسليمها إلى مصطفى حول نتائج مشروع جمع وتوثيق الموسيقى التقليدية العُمانيّة.

عرفون أن المركز هو أول من قام بتوثيق الحرف التقليدية العُمانيّة وكان ذلك في التسعينات من القرن الماضي، وكثير من الوثائق المصورة تم تسليمها إلى مصطفى حول نتائج مشروع جمع وتوثيق الموسيقى التقليدية العُمانيّة.



من مكتبة المركز

بالمناشط الموسيقي التقليدي تفعيل التعاون بيننا بشكل أوسع في المجالات المختلفة.

الخاتمة

إن الموسيقى التقليدية لا تكن أهميتها فيما تكمنه من ذاكرة اجتماعية فحسب بل في عناصرها الفنية الحية ومفرداته الحسنية والإيقاعية والشعرية التي لا تزال تتداول وتنتقل بين الناس في مناسباتهم المختلفة. لقد كان للمناسبات الاجتماعية والعبادات المرتبطة فيها كالأعراس والأعياد الدينية والأندية... وغيرها دوراً أساسياً في الحفاظ على استمرارها ونظراً للمغزبات الحديثة (الاقتصادية، والثقافية، والتعليمية...) التي تجري في البلاد وتؤثر على بنية المجتمع التقليدي، فإن تأسيس مركز عُمان للموسيقى التقليدي يمثل - في نظري - دمجاً جديداً ينسج في شرايين هذه الصبغة التراثية بما يحمل من أدوات ووسائل تضمن استمرار الثقافة الموسيقية وتطبيقاتها الفنية للأجيال القادمة. من هنا يعمل المركز بالتعاون مع مختلف المؤسسات الحكومية لنشر الثقافة الموسيقية التقليدية العُمانيّة وتعميقها وترسيخها بين الشباب العُمانيّين بوسائل مختلفة وبالأدوات والوسائل الحديثة. الإعلامية والثقافية والتعليمية.

هوامش

١. تولى الأستاذ الدكتور يوسف شوقي مصطفى في مسقط صباح يوم الجمعة ٢٠ نوفمبر ١٩٨٧، وتبعها يومه من فيها رحمه الله.
٢. يرجع الفضل في تأسيس الأرشيفات الصوتية الموسيقية حول العالم إلى الاختراع المذهل لتوماس ألفا إديسون (noside avIA samohT للحاكي (hpargonohp) عام ١٨٧٧، ومن ثم على الاختراع التاريخية ربما تعود التسجيلات الصوتية الأولى على اسطوانات الشمع (مذة الاسطوانات حوالي تقديتان) إلى القرن التاسع عشر، ووضم عام ١٩٠٤ بداية القرن العشرين).
٣. حول هذه المخاضرات يمكن مراجعة «وثائق الثورة الدولية لموسيقى عُمان التقليدية» إصدارات مركز عُمان للموسيقى التقليدي ١٩٩٥. ■

باحث وموسيقي مدير مركز عُمان للموسيقى التقليدية - وزارة الإعلام

## وسيقية المصاحبة

في البداية تم تقسيم العمل بالمشروع من الناحية المنهجية إلى مرحلتين الأولى: استطلاعية والثانية: مرحلة الجمع النوعي الشامل؛ وكان الهدف من الأولى التعرف على الواقع الموسيقي في مختلف الولايات باعتباره واقعاً كان مجهولاً ليس بالنسبة للمشرّف على المشروع بل وكذلك للجميع. أما الثانية فهي مرحلة الجمع الأساسية في المشروع وانتهت في ١٩٨٥. وبعد تأسيس المركز وإقامة الندوة الدولية لموسيقى عُمان التقليدية بدأت مرحلة أخرى من الجمع الميداني تحت اسم مرحلة استكمال الجمع والتوثيق الشامل (١٩٨٥ - ٢٠٠٠)، وفي هذه المرحلة تم استخدام وسائل تقنية حديثة، كما تخلطها إعداد برامج تلفزيونية وإذاعية، ومشروع جمع الشعر المغني، ونشر عدد من الإصدارات المكتوبة والمسجوعة والمرئية.

فعاليات... إصدارات، وخدمات متنوعة

بمناسبة احتفالات السلطنة بالعيد الوطني الخامس عشر عقد المركز أول فعالياته الموسيقية وهي الندوة الدولية لموسيقى عُمان التقليدية في أكتوبر ١٩٨٥، وكانت أبرز الأحداث التاريخية العلمية في مجال الموسيقى العُمانيّة. وفي السنوات الثماني التي تلت أفر جمع ميداني (٢٠٠٠ - ٢٠٠٨) أقام المركز عدداً من الفعاليات الموسيقية داخل مسقط وخارجها كالآتي:

- تم استضافة وعقد ١٢ فعالية موسيقية محلية ودولية.
- تم إصدار ٧ كتب تعريفية وتحليلية حول الموسيقى العُمانيّة والعربية.
- تم إصدار ٧ أشرطة لاسطوانات سمعية ومرئية (لم يتم أراج عدد الإصدارات السمعية والمرئية التي نشرت عن الكتب).
- تم إعداد ٥ سموات تلفزيونية.
- إن هذا النشاط الملحوظ كان له الأثر الكبير في نشر الوعي بأهمية التراث الموسيقي العُمانيّ كعنصر هام من عناصر الثقافة والهوية الوطنية، ونقل المعارف والتجارب الموسيقية العُمانيّة عبر الوسائل المكتوبة والمسجوعة والمرئية وهذه مجالات خلال السنوات الماضية في هذا المجال، ولكن للأسف لم تنتج لأصناف مختلفة، ويسعى المركز اليوم للعمل على تصميم نظام أرشيفي جديد للمواد السمعية والمرئية على الحاسب الآلي بالتعاون مع الخبراء في وزارة الإعلام، وتتطلع إلى تعاون مع بعض المختصين في هذا المجال.
- وفي سياق العناية الكبيرة التي أولهاها المركز لأرشيفه منذ تأسيسه وحتى اليوم ما جرى من مشروعات فنية في هذا المجال، فبالإضافة إلى جانب العديد من المؤسسات الحكومية بالتحريف (١٩٨٥) كل من: الدكتور بدرين شولر رئيس الأرشيف الصوتي بفيينا، وأشارك بمحاضرة في الندوة الدولية لموسيقى عُمان التقليدية أثناء زيارته تلك بعنوان: «الأسس التقنية المنهجية للمحافظة على التسجيلات السمعية والبصرية».
- وتكررت زيارة هذا الخبر الدولي مرّة أخرى دعوية من المركز في عام ١٩٩٤ للعرض نفسه كما زار بجانب أرشيفه السعدي والمرئي للعيد المنبزل من أجل الحفاظ على التراث الموسيقي العُمانيّ.

عن واقع المركز اليوم

إن ما تم إنجازه يدعونا للفخر والاعتزاز دون مبالغة، ولكن في نفس الوقت يحلنا هنا مسؤولية ضاغطة للمحافظة على ما تم إنجازه، والاستمرار في استكمال ما تبقى من عمل والنظر إلى ما تحقق حتى اليوم من جمع



## سيرة الحجر



زهيران القاسمي

## ظل طائر كبير

يُحكى أن أمه ذهبت في ظهيرة يوم ما إلى الفلج لتغتسل، لم تخبر أحداً بنهايتها، فتأخرت هناك، انتظرها أهل بيتها فلم تعد، قامت أم زوجها بسؤال الجيران عنها، لم تجدوا، ذهبت إلى الفلج، إلى حيث تغتسل النساء عادة، ووجدتها متمددة على الأرض، نائمة بعريها الخالص، وتقول أم زوجها بأن ما يشبه ظل طائر كبير طار من فوقها، ورفرف بجناحين يشبهان جناحي طائر اليوم، تقول أنها أحس بحفيف أجنته قريباً من وجهها، تاركاً اضطراباً في الهواء، ورائحة تشبه رائحة ظل النخلة وقد انشق لتوه في صباح باكر.

أيقظتها أم زوجها من ذلك السبات العجيب، مستفسرة عن سبب ما حدث، أخبرتها بأنها كانت تغسل شعرها، عندما أحست بربح بارة دخلت عليها المكان، تقول أنها شعرت بالبرد في ذلك اليوم القانظ، وشعرت بالنعاس يسبحها خلسة، لم تترك ما حدث، ولم تستيقظ إلا على صوت عمتها، تقول عمتها: لم أخبرها بما حدث، شككت في أمر ذلك الطائر الكبير الذي طار من فوقها، لكنني كتبت الأمر، قد يكون أشبه بالهذيان، أو بحكاية ملقعة ونحن نترك تلك الضغينة الأبدية بين الزوجة وعتقتها، لم أخبر أحداً بقصة الرائحة التي كانت تعرق في المكان، كتبت كل شيء وأخبرتهم بأنها وجدت زوجة ابنها مغشى عليها عند حافة الفلج، بعد أشهر انفتحت بطن الزوجة، تأكدت بأنها حامل، كان حملاً طبيعياً ككل النساء، قضت فيه شهرها كاملاً، وعندما جاءت بالبرد، أيقظتها وجاءت قابلة القوية وولدتها، لم يلحظ أحد شيئاً مختلفاً في الأمر، وحدها تلك العمة تبحث عن الفوارق في تلك الحالة وفي ذلك المولود الجديد، لكن شكوكها ذهبت مع نسمات السماء، وهي تحتضن حفيدها وتهدده، متغنية بظلال تشبه الطيور العملاقة تحوم على قمم الجبال العالية.

شُ الطفل وكبير، كان قويا وشجاعاً، لا يخاف الظلمة ولا السبر ويجدان بين الجبال، يُقال أنه ذهب ذات ليلة يمشي بين النخيل فسمع حركة حيوانات تدب على الأرض، ظن أنها من الحمير يلحظ التي تهبط إلى الأرض وتأكل والزروع، لم يلحظ شيئاً، لكنه أخذ قبضة من الحصى في كفه وضرب به مصدر الصوت، سمعها تركض خارجة من المكان ولم يتبعها، وفي صباح اليوم التالي، وجد الناس ضبعين متوحشين خارج المزرعة، كانا ميتين، وكان جلد كل منهما يدعى من تقوب كثيرة، يُقال أنهم وجدوا الحصيات عاقلة في الجبل وبعضها قد تقبت الحيوانين حتى خرجت من الجانب الآخر. إن المكان من حوله، يستطیع أن يفعل ما يريد برغم اكتشافها كانت تحبه، كان بسيطاً في تعامله مع الأشياء من حوله، يستطيع أن يفعل ما يريد ولا يبدي تذمراً، يساعد الكل، ويوزع حبه على الجميع. تصدت له إحدى جنيات المكان، تصارع معها فغلبها، لم يكن قبل ذلك من يجرد على الناس من ذلك الطريق ليلا، عاهدته أن تترك المكان ولا تزعب العابرين منه، ووافقته على ما اشترط عليها، أخبرته بقصته ومن أصله، لم يصدقها، ترك المكان وهرب إلى مقصده، عند عودته وجدته بما حدث معه في الطريق، وبما كان من الحظ البعير الجغرافي الاجتماعي والثقافي، من هنا نشأت الدولة الدولية لموسيقى عُمان التقليدية» إصدارات مركز عُمان للموسيقى التقليدي ١٩٩٥. ■

باحث وموسيقي مدير مركز عُمان للموسيقى التقليدية - وزارة الإعلام